كتاب الكل
1
قصة

محاولات للتخفي

إيمان
عبد الحميد

fb/mashro3pdf

محاولات للتخفي
مجموعة قصصية
إيمان عبد الحميد
الطبعة الأولى
الإسكندرية ٢٠٠٦

مراجعة
عبد الرحيم يوسف
تصميم فني
ماهر شريف
جرافيك
أحمد أبو النصر

طبع من الكتاب
١٠٠٠ نسخة

رقم الإيداع
١٣٤٢٥ / ٢٠٠٦

شكر للأيادي التي إمتدت لتدعمنا
حجاج أدول
إيهاب عبد الحميد
خالد حجازي
تامر صلاح الدين

fb/mashro3pdf

محاولات للتخفي

قصص

إيمان عبد الحميد

fb/mashro3pdf

إهداء لا مفر منه

إلى الإسكندرية الجميلة
أصدقائي وأحبتي .. مهما تباعدوا

إلى محمد وزياد
لكم جميعاً .. لأنكم هنا

إيمان

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مقدمة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الولوج إلى عالمكم .. شاق ومجهد .. شاق أن أعبر كل المساحات الشاسعة بيني وبينكم .. والتي استغرقت أعمار آخرين .. أحلامهم . وربما أيضا أحقادهم ؛ تكونت منها برقة شديدة وبإخلاص حقيقي .. فهل أستطيع أنا الآن أن أتخطى كل هذا وأن أعبره ، محطمة تاريخ الآخرين . باعثة على عدم ارتياحهم في قبورهم المظلمة ؟

.. أعرف أنني لا أستطيع .. لكن هذا لا يعني عدم المحاولة .. فالتحدي فكرة خاصة تماما بالمشاعر الإنسانية ، متولدة منها . ومحركة لكثير من أمورها ، وهنا أيضاً أجدني أخضع لها ، حاملة تاريخا ثقيلاً فوق كتفي بدء من هابيل المقتول ، وحتى أنا القاتل فبماذا أبدأ ولوجي وخطوي الحثيث تجاكم .. بالحب !! ربما ، فأحمل ورداتي البيضاء وآتي إليكم .. عارضة حبا لا تريدونه ، مدعيةً أنني أحمل لكم حباً عميقا رغم صدودكم ، وأنني لا أحمل حقداً مهما لاقيت . وأن الله قد منحني أكثر من خد أيسر كي أديرها دائماً لكم ، فأنثر على رؤوسكم غفراني الأبيض ، وأمسح بيدي عليكم فأزيل ذنوبكم ، أنكر تماماً أنني عندما أنفرد بنفسي ليلا أدوس ورداتي المرفوضة ، أصب دعائي عليكم .. وأكرهكم حتى النخاع .

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مفردات صالحة لكل الحكايات

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الباب

يمتلك كل صلاحيات تُمَكِّنُهُ من إدخالي أو إخراجي أو حتى منحي عـــدة سنتيمترات أمد عبرها عيني إلي صالة منزلنا فأرى دولاب فضياتنا (الذي لا يحتوي أية فضيات) يقف في تحدٍ أمام وجوهنا ملتهماً مساحة هامة مـــن صالتنا .. فقط كي تقف أمامه أمي في إعزاز وهي تشير إلى بعض الأطباق الصينية رديئة الصنع متوهمة إرثها العائلي .

النافذة

تستطيع دائماً منحي سماء زرقاء بطيور مهاجرة ، أو بحراً طيباً أو فتاةً جميلة تظل تروح وتجيء في بلكونتها المقابلة لشباكي تنشغل بنشر قطع الملابـــس غير الهامة وهي تختلس نظرات خجلي نحوي .. لكنني عندما أنظـــر مـــن نافذتي تواجهني ورشة لإصلاح السيارات ، وبقالة بواجهة مظلمة وعمارة تقف أمامي ببلكوناتها المغلقة بلا فتيات ، وبلا غسيل منشور .

الحبيبة

.. كان عليَّ دائماً تخيل فتاة بعينها حتى أستطيع إكمال حكايتي بشيء من التصديق وشيء من اللذة ، وكان عليها أن تكون كاملة التكـــوين فلـــها

fb/mashro3pdf

جسد (سعاد) جارتنا في الدور الأول والذي يحتضنه زوجها عند مغادرته كل صباح ، وعينا (إنتصار) التي مُنحَت نصيبها كله من الجمال في عينيها شديدة الإتساع أما الشفاه فستكون من صنع مخيلتي الخاصة ، كي تكون شهية وممتلئة بالقدر الكافي للتقبيل . لكنني وبرغم إحكام صنعي لفتاتي ، تقفز دائماً لمخيلتي (عايدة) بجسدها الضئيل داخل فستانها القطني بلا محاولات منه لصنع إثارة ما عند مرورها من محل الهدايا حيث تعمل إلى منزلها القريب ، فيبقى وجهها يخايلني رغم شفتيها الرفيعتين ، وعينيها الهادئتين واللتين تضيقان قليلاً عند أنفها فتبدو وكأنها على وشك البكاء . تجيء هكذا فتفسد عليَّ الأمر لأقفز من السرير متخلياً عن محاولتي البائسة لصنع فتاة لليلة واحدة .

مدينتي

.. كان عليها أن تظل خلف بقع الجمال المنتشرة ، مختبئة عن عيون الجميع، فتخلع عنها سترتها المزركشة ، وباروكتها الفاقعة ، ومساحيق وجهها الثقيلة ، وتقف على شاطئ البحر (ببنطلونها الجينز والتي شيرت) تتطلع إلى كل ولد وبنت يسيران على الكورنيش يحملان في يد كيس الترمس المملح وفي اليد الأخرى العالم الذي سينتهي لحظة افتراقهما .. (لم نكن نشتري أكياس الترمس ، ولم نكن نسير متعانقي الأيدي ، فقط كانت محاولة أخيرة لصنع بهجة ما ، لكن هذا كله لم يمنع أو حتى يؤخر افتراقنا الذي جاء بعيداً عن كل أوقات الغروب أو الشروق أو أي وقت قد يحمل دلالة ما ، بل جاء في وقت الذروة ، وسط ضجيج السيارات

fb/mashro3pdf

والشمس القاسية فوق الرؤوس ، وازدحام الرصيف بالكتل البشرية المتحركة .. فيجيء افتراقنا ليخفف قليلاً من ضجيج العالم) .

أمي

ستظل دائماً قادرة على منحي طعاماً شهياً وملابس تتمكن من التخلص من الأوساخ بلا مقابل سوى وجودي المؤلم حولها ، رغم العمل الذي لا يجيء ، والصحف المزدانة بالوظائف الخالية إلا لي .. فتدس في جيبي جنيهاتها القليلة أثناء نومي مؤمِّنة لي ثمن كوب الشاي والجريدة التي لا تحمل لي سوى آمال زائفة .

الله

لم يعن بدعوات أمي أو بكائها "كي يفك كربي" محلفة إياه بالنبي والصحابة والكعبة المرسومة على سجادة الصلاة .. لكن كل هذا لم يكن كافياً كي يستجيب دعاءها .

" أنا لا أصلي .. وإن كنت أثق كثيراً في صلاتها "

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

أنا

.. مازالت أمي تنطق اسمي مسبوقاً بكلمة أستاذ ، فتزداد خيبتي ويزداد معها فرار فتياتي التخيلية كل ليلة .. وتبقي فقط (عايدة) تمر مرورها

fb/mashro3pdf

المعتاد، وفي كل مرة أقرر فيها أن أمسك بفتاة حقيقية تختفي سريعاً داخل المحل ، وأظل أراقبها وسط الدمى القطنية الملونة .

صرت أصلي سراً .. فقط كي أثبت أن اسمي لا يوجد ضـــمن كـــشوف السماء .

الإسكندرية

١٦ يونيو ٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

أقول في المدن

"كتابة عن المدينة / البلاد"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حضور

يا من تملكين الآن غوايتي ، عندما تأتين ، تنفلتين من البلاد ، تأتين مشرقة خصبة ، كي ما تروي ظمأي القاسي ، وتمنحي جسدي الأسمر ظلاً طيباً ، فيرطب قامتي .

تنفلتين من الحقول الواسعات ، والأشجار المتفرقة ، ومن قامات النخلات العالية ، تتركين الصحراء وراءك وتأتين ، مخلفة زرقة البحر الحانية ، كي ما تهلين بروانحك الخضراء ، الصفراء ، الزرقاء فتعمرين مدني القاحلة ، وتلدين أطفالي الذين أنتظرهم .. وتذهبين .

دخول

"يقولون إن الموت حين يجيء المدن فإنه يحمل عنها أوزارها ويتركها بيضاء بغير سوء ، فأصير ناصعة مشرقة بالموت" .

... فأقف في شرفة ، في شارع في مدينة ، غير عابئة بتحولات الشمس ، ولا بنمو القمر وتضاؤله .

متن أول

هل كان علي يوم جاءني المخاض ألاّ أصرخ ؟ أن ابتلع ألمي ؟ أن أتجاهل انقباضات الرحم المرهق الراغب في التخلص من حمله ، ومرور السائل الساخن بين فخذيّ ؟

fb/mashro3pdf

هل كان عليّ ساعتها ألا أخرجه للعالم ، أن أتوسل لرحمي أن يكف عن انقباضاته ، أو أضم فخذي بشدة ، حين أشعر بتزول رأسه الصغير بينهما .. فيختنق وأموت ؟

هل كان الأمر سيصبح أسهل عندما أحمله بين يديّ ، غير قادرة على القبض على أعضائه وملامحه من كثرة لفائفه شاعرة فقط بحركاته المتوترة الناعمة وهي تدغدغ صدري وكتفي .. فأضمه إلي بشدة . هل كان علي حقيقة أن أضمه وأضمه ، غير عابئة بصراخه ، ومحاولات جسده اللين للفرار ، فأستعيده داخلي ثانية .. جميلا هادئا .

متن ثان

مدينتي المنتقاة

لم يكن لي يد في سكنى أبي في شارعنا الموحل ، الخالي من أعمدة الإنارة ، الملئ بالوجود والأنفاس المتململة الخانقة . لم أختر مدرستي المتهدمة ، أو زملاء الفصل الذين اعتادوا مضايقتي لصغر حجمي وتخاذلي المدعو (أدب). لم أختر بنت الجيران المحدودة الجمال ممتلئة الجسد باستفاضة ، لم أخترها . ولكن لموقع نافذها الجغرافي (المذكورة في كل كتب التاريخ بشكل مفصل) ، كانت هي فتاة أحلامي لفترة طويلة . وقد التزمت بكل ما جاء في الكتب أو على لسان أصدقائي عنها ، ويبدو أنها كانت تقرأ الكتب ذاتها ، فجاءت في آخر مرة وهي في ملابس المدرسة التجارية باكية في توتر .. تخبرني بذلك العريس الجاهز الذي يظهر دائما في الوقت المناسب كي ما نتخلص من حكايانا السرية بشكل رومانسي مؤثر .

fb/mashro3pdf

متن ثالث

مدينتي الأنيقة

طريق الكورنيش الأسفلتي المضاء بأعمدة الإنارة الأنيقة ، والجداريات الملونة ، ونوافير المياه ، وكل تماثيل الميادين الواسعة ، واجهات المحلات المبهرة . العربات التي غسلها ماء المطر ، تقف في انتظار أصحابها وهم يتناولون طعامهم المكون من بطاطس محمرة ، وقطع الهامبرجر الأصلي ، والكولا الباردة ، فتتألق شوارعها المتسعة ، ويكون عليَّ أنا أيضاً أن أتأنق، أسير مبهوراً منتشياً كي ما أصير جديراً بالمدينة المستحمة ، فأكون جزءً منها .. يلج المحلات الفخمة ، ويجلس كي ما يتناول الهامبرجر خلف واجهة زجاجية لامعة . فيحملني الأسفلت في طرقاته مدهوشاً متناسياً برك المياه التي صارت الآن في شارعنا ، وقطع الخشب الطافية أو الأحجار الضخمة التي وضعناها في الصباح .. كي ما نستطيع العبور والمرور إلي العمل ، إلى المدرسة ، أو إلى فرن العيش القريب ليبتلعنا طابوره . سيكون علي أن أنسى هرولة أمي إلى شباكها الصغير لتجمع ملابسنا التي أغرقها المطر الموحل .. فتعيد غسلها ونشرها داخل الحجرات الضيقة .

... سيكون عليَّ ساعتها أن أنسى أن المطر الذي غسل الشوارع الأنيقة ، هو ذاته الذي أغرق شارعنا .. !!

fb/mashro3pdf

متن رابع

مدينتي القاسية

" .. قلبها الأسفلتي لا يعبأ كثيراً بأحزاننا المتفرقة .. "

.. يجمعنا المقهي الصغير في الشارع الضيق متحلقين حول طاولة تكفي بالكاد لكوبيّ شاي بحليب ، مُدَّعين أننا نملك عالماً رحباً داخل صدورنا المتعبة ، مُدَّعين كذلك أننا نستطيع أن نخلق مئات المدن الجميلة الحانية ، بلا شوارع خلفية غارقة ، أو أسفلت لا يعنيه من يموتون فوقه ، لكننا وسط ضجيج أحلامنا بصنع مدننا الخاصة ، وشوارعنا غير الأسفلتية ، ومقاهينا التي تفترش العالم ، وبأننا سنهب لتلك المدن حبنا الأبيض ، وأوراقنا التي ستكون مبهجة ، لا نستطيع أن نفهم أبداً لماذا هي بالذات لا تستطيع أن تحبنا .. فتنسانا تماماً ، لا تتذكر خطواتنا اللاهثة ، أو نزهاتنا علي كورنيشها تحت المطر .. تنسى تسكعاتنا أمام واجهات المحلات لشراء بلوفر جديد ، ومزاحماتنا كي نجد مكاناً آمناً في عربات الميكروباس ، فتنسى وجوهنا وملامحنا .. في الأزاريطة ، وسوتر ، والشاطبي والشبان المسلمين .. تنسى كل هذا .. فتشنق زميلتي التي لم أعرفها جيداً نفسها في السرير وتستحيل لخبر صغير في عمود جانبي بالجريدة .. وتتركني دون أن أعرف .

ما الذي أحبه فيها ..

- عندما تمطر ..

fb/mashro3pdf

- الكتب الملقاة بترتيب فوق أرصفة النبي دانيال .
- الرجل ذو الشعر الأبيض في مقهى البن البرازيلي .
- بحرها الواسع الذي كلما نظرت إليه اتسع ، وكلما أحببته اتسع أكثر ، حتى عندما اقتطعوا من زرقته ورماله كي ما تزداد الشوارع أناقة .. مازال يتسع ..

ما الذي لا أحبه فيها ..

◆شوارعها اللامعة التي كي ما أسير فيها يجب أن أتركني في شوارعنا المزدحمة بالباعة وعرباهم المحملة بكل شيء ، وضجيجهم ، ، ومفاوضاتي معهم عند شرائي لشراب جديد .

◆عندما أسير وفي جيبي جنيهات غالية أدفعها كلها لوجبة سريعة وأترك بقشيشاً لفتى المطعم الأنيق ، وأعود سيراً إلى البيت ، فتقابلني رائحة طعام أمي .. فأجلس وأتناوله بشراهة .

خروج

يقولون أن الموت عندما أتاها ، وجدها مشرقة بالمطر ، ملتحفة بالبحر فلم يبرحها أبداً ..

الإسكندرية

ديسمبر ٢٠٠١

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

صباحات الأحد الجميل

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

آه يا مريم ، وأنت تمرقين هكذا من أمامي .. تحملين شعرك الأسود الطويل وراءك .. وعلى صدرك الخجل الذي تفننت في إخفائه ، يرقد صليبك الفضي الصغير ، يرتطم بنحولتك في حنوٍ مع كل خطوة منك . أراك وأنا أقف في شرفة مترلنا ، فأعرف ساعتها أنك الآن في صباحك هذا .. تتجهين للكنيسة التي أستطيع رؤية برجها العالي من هنا ، وصوت أجراسها يتعالى ، فأسرع الخطى وراءك ، وكلمات أمي المندهشة تسرع خلفي .. (أمي اسمها مريم .. لم يترك لها الزمن وموت أبي سوى شعر منهك) .

رائحة كثيفة تتخللني أثناء خطوي الداخل للمحراب ، والنظرات المتشككة للحارس تتبعني ، أري جسدك النحيل راكعاً في هدوءٍ يصلي ، أكتشف جماله ، وأرغب فيك .. فأخجل .

أنظر لصورة المسيح وهو طفل ممتلئ جميل ، وأنت يا مريم تحملينه ، ودائرة النور تحوطكما .. فأحبه .

أعجب بصورته وهو شاب بعينين عذبتين ، وشعر مموج هادئ فأحسدك لأنك تملكين لخيالك صورة يستطيع دائماً اللجوء إليها .

أحببت أصابعك إذ تضئ شمعاتك الصغيرة ، فأمد يدي لأضئ شمعة لأبي الراحل ، وشمعة أخرى كي أنجح هذا العام ، وشمعة لأمي الشاكية إلى الله .. ثم أقرأ الفاتحة .

يومها بكت أمي كثيراً ولطمت خدودها حتى تورمت وهي تسأل الله عمَّا

fb/mashro3pdf

جنته كي يمنحها ولداً أحمق يرسم الصليب على صدره ويذهب إلى الكنيسة في صباحات الأحد الجميل .

.. آه يا مريم .. لماذا لا ترينني .. لماذا لا تدركين وجودي المقارب تماماً لوجودك ؟..

أَكُلُّ هذا لأنني أذهب إلى الزاوية القريبة من المنزل فأسمع الخطبة وأصلي ركعتيّ الجمعة وعندما أسجد أدعو لنفسي بالهداية ؟ أم لأنني أرتدي قفطاناً أبيض في صباحات العيد بينما صوت الشيخ رفعت يملأ منزلنا أو ربما أمي التي تبكي ليلاً في سريرها ، وتغطي شعرها في وجود الغرباء رغم عطبه الواضح .

فأرى عينيك وقد أخرجتاني من حيزهما ، وكأن العالم الواسع قد ضاق فجأة وطردني .

فلم تكن شمعاتي التي أشعلها كل أحد كافية ، ولم تكن مشاركتي لك في صيامك القاسي الذي كان دائماً يثير غضبة أمي ، وهي تحذرني من فساد معدتي أيضاً كافياً كي تمنحيني محبتك دون خجل .. دون مواربة .

الآن يا مريم .. أقف في شرفة منزلنا ، أعرف جيداً أنك لن تمرقي كعادتك من أمامي . مطوحة بشعرك للوراء ، مسرعة الخطى للكنيسة مهما تعالت أصوات أجراسها الضخمة أعرف هذا ، وأعرف أيضاً كم هو جميل صباح الأحد إذ تمرقين .

الإسكندرية

٢٠ أكتوبر ٢٠٠١

fb/mashro3pdf

من وراء زجاج

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. بأصابعها النحيلة تدفع بالرعشة إلى جسدي البلاستيكي الصامت ، وهي تخلع عني ملابسي ، تبدأ بالقميص الأزرق الفاتح ذي الأكمام القصيرة ، تفك أزراره برقة ، تخلع عني بنطالي البيج وحزامه الجلدي .. أصير عارياً تماماً أمامها .. بعناية تختار ملابسي .. البلوفر الأزرق الداكن ، تلبسني إياه ، ثم البنطلون الرمادي الذي يشوكني صوفه الجديد ، تطمئن على اتساق مظهري ، تحرص على وضع الأسعار في أماكن واضحة من جسدي ، ودائماً ما أنال وخزة بصدري أثناء تثبيتها لسعر البلوفر ، لكنها تكون أكثر حرصاً عند تثبيت سعر البنطال ، تمنحني نظرة مطمئنة أخيرة وهي تسوي بيديها شعري الاصطناعي ، تعدل من وضع جسدي ليواجه الزجاج ، ترفع إحدى يديّ والأخرى تضعها لي في جيبي ، تمرر يدها على ظهري فيتوتر جسدي الصلب ، أمنح نظريّ المتوترة لهؤلاء الذين ينظرون نحوي طويلاً أثناء مرورهم بواجهات المحلات ، لكنهم دائماً ما تتجه أعينهم نحو قميصي أو بنطالي ، يقتربون كثيراً من الزجاج للتأكد من السعر المرشوق بي ، ربما يقفون ويتجادلون مدة أطول عندما تكون هناك رغبة حقيقية في الشراء .

تمتلكني سعادة كبرى عندما يشتري أحدهم بعض ما أرتديه .. أشعر حقيقة أنني أتحرك وأسير وأقفز في عربات الأجرة ، وأن الهواء استطاع للمرة

fb/mashro3pdf

الأولى أن يحرك خصلات شعري .. فقط عندما يلبسون ملابسي .. أراهم عبر الزجاج في صحبة زوجاقم ، حبيباقم وربما أصدقائهم فيمرون أمامي في زهوٍ مشيرين نحوي .. ثم وعند استدارقم الأخيرة عني .. نتبادل نظرة غير موجهة لملابسي .. بل نظرة يتبادلها رجلان يلبسان ملابس متشابهة .

الإسكندرية

٢ أغسطس ٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

مباغتة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. عندما انقطع التيار الكهربي .. باغتتني الظلمة ، وفي حركة محبطة نحو الباب ، والذي وحده يمرر مصدرا للنور البعيد اتجهت .. كنت أعرف جيدا أنها تجلس على مسافة صغيرة مني . وأن مقعدها في طريقي نحو الباب وأنني بشيء من سوء التقدير للمسافة ، وعذر الظلام . وضيق المكان يمكنني أن ألمس بعضاً منها .. سترتد يدي بعدها في فزع يتبعه أسف تختلف شدته حسب المكان من الجسد الذي لامسته .. سيعلو صوت تنفسها الذي سيكون سريعا وغير منتظم ، وفي محاولة منها للسيطرة عليه ستحبس شهيقها قليلا كي ما تعيد ترتيبه والذي سيكون صعبا في هذا الظلام .

سأعود من رحلتي العظيمة إلى الباب لأخبرها أن التيار الكهربي قد انقطع عن المبنى كله وأنهم الآن يحاولون تشغيل المولدات الإضافية .. سأعود إلى كرسيّ في حرص .

.. سأفكر ساعتها بهذا الأسبوع الذي سينتهي غدا والذي كان علينا أن نعمل فيه لساعة متأخرة جميعنا . سأفكر كذلك في هذا التيار الذي يتكرر انقطاعه دائماً في موعد مقارب .. وأنني حقا لم أتعمد هذا الاصطدام الغبي. لكنني وحين فاجأتني دهشة كتفها في المرة الأولى . امتلأوه الحنون . وامتلاء كفي به .. وكرتيّ خديها الحمراوين اللتين لاحظتهما بعد عودة التيار .. كان شيئا جميلاً .

وفي اليوم التالي تيقنت من تكرار هذا الانقطاع المؤقت . وصرت انتظره كامل اليوم .. أتأكد من وقت لآخر من وضع جسدها واتجاهه والجزء الذي على ملامسته هذه المرة .

fb/mashro3pdf

.. كان تكرار الأمر يدفعني إلى مصاحبه لدي ، وبدلا من اصطدام يدي الأبله – رغم دهشته – في أول مرة .. ثم اصطدامها لجزء أردته .. أصبحت ألامس بملء كفي .. تلك الوفرة .. تلك المحسوبة من الجلد إلى الجلد .

****

اليوم هو الأخير .. تجلس في مقعدها المعتاد ، ترتدي فستانا مفتوح الصدر قليلا ، قصير الأكمام . فستان من الحرير بلون بنفسجي يحمل زرقة ما .

.. ازدادت نشوتي وزاد ترقبي للموعد . ألاحظ التنقل المتكرر لعينيها من الأوراق أمامها إلى ساعة يدها .. يمر الوقت ثقيلا .. لا يمر الوقت .

وفي اللحظة المباغتة ، وقبل تيقني التام منها .. سمعت صوت تحركها من مقعدها . وهي تخبرني أنها ستخرج لتعرف كم من الوقت سيمر حتى عودة التيار .. يسقط قلبي ويموت .

.. وفي لحظة مباغتة أخري .. كانت يدان وفيرتان ساخنتان تلامسان وجهي ، كتفي ، صدري ، جسدي كله .. بقيت ساكنا وصوت تنفسي يعلو ويزداد .. لا أستطيع إيقافه .. أشعر بالعرق وهو ينسل تحت ملابسي .. وحذاي أشعر بسخونتهما واحمرارهما .

عند عودة التيار رأيتها تجلس على مكتبها بنظرة مبتسمة .. منتصرة .

القاهرة

١٧ فبراير ٢٠٠٣

fb/mashro3pdf

في حجرة ما

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

-١-

أسكن حجرة صغيرة – ووحيدة أيضاً – اجتاحت الرطوبة جدرانها الأربعة فبدأ طلاؤها في التساقط العشوائي ، تاركاً وراءه أشكالاً مبهمة وذرات بيضاء تستطيع اكتشاف طعمها المالح إذا ما وضعتها على طرف لسانك حاولت إخفاء تشوهاتها ببعض من ورق الجرائد .. فقط صارت أكثر قبحاً، فتركتها كما هي .

رغم كل هذا ، تستطيع تلك الحجرة أن تمنحني أمتاراً قليلة .. كي أتحرر من ملابسي ليلاً ، عندما أستلقي على سريري الذي يستضيف من آن لآخر بعض النساء من الحي الذي أسكنه ، أو من عربات الترام المزدحمة ، أو حتى من الطرقات التي امتلأت ببرك المياه عقب مطر شتوي مفاجئ .. لا يهم ، فوقتها لم يكن الوقت متأخراً ، أو عربة الترام مزدحمة تماماً ، وكذلك لم يكن شكلها مبتذلاً ، فقط تلتف في رداء داكن اللون ، ولا تعني أطلاقاً بتوجهات شعرها ، ولم تكن خطواتها مترددة أبداً عندما تبعتني حتى غرفتي .

في الليالي التالية .. استطاعت أن تمنح الدفء لسريري الخشن وبعض السكينة لجسدي .

fb/mashro3pdf

في الليالي التي تلتها .. لم أجد معنىً من سؤالها عن أي شيء ، فلم يكن هذا يهم كثيراً بعدها .. وعندما كان بابي يرحب بالأخريات ، بينما هي بالخارج ، لم يكن غريبا تماماً عند عودتي مساء ، أن أستلقي على السرير .. أرقب قطع الطلاء التي تتساقط في إصرار .

-٢-

أعرف جيداً أنه كان خطواً عاصفاً مارسته ، عندما تبعته حتى غرفته لكنه لم يكن بالشيء الكثير في مقابل تلك الجدران الأربعة التي تشبعت بالرطوبة حتى السقف ، وقد تساقط طلاؤها الجيري . في مقابل تلك المساحة أبدأ في نزع ملابسي لأمنحه عرياً كاملاً ، عله يمنحني بعدها - عندما ينتهي تماماً - سويعات قليلة من الأمان (الزائف) .

... في الليالي التالية .. كانت الحجرة الرطبة الأركان ، عالماً متسعاً استطعت أن أناله بينما ينال - هو - دفء جسدي المتعب .

... في الليالي التي تلتها .. لم تعد تلك الجدران تعني شيئاً ، بعدما انسحق لونها تماماً ، ولم تعد تلك الأجساد المتلاصقة التي تنز عرقها اللاهث ، أو حتى تلك الأنفاس التي تتلاحق تستطيع أن تمنحني بعضاً من الدفء ، لذلك لم يكن غريباً تماماً أن يستلقي كلانا بهدوء في محاولة منا لجعل تنفسنا له إيقاع منتظم هادئ - يناسب إدعاءنا النوم - ونحن نتطلع بنصف عين مغمضة لطلاء الحجرة وهو يواصل تداعيه ، تاركاً وراءه أشكالاً غير منتظمة إذا ما نظرت إليها قليلاً ، استطعت أن تلمح وجوهاً حقيقية ، وأجسادا في أوضاع حركة .. قد تجمدت عندها في تلك اللحظة ، وربما أيضاً حصانا يشب على قوائمه الخلفية ، في محاولةٍ منه لانتزاع قيوده

fb/mashro3pdf

الطلائية .

... استطعنا أن نفعل ذلك بإتقان يحسب لنا ، وقد استلقينا نفكر في أنه لم يعد لدى أي منا ما يمنحه - حقيقة - للآخر .

---

١٥ فبراير ٢٠٠١

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مقايضة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. هل تستطيع الآن رغم كل ما تدعيه من غفران وسماحة أن تعيد لي قليلاً من العالم الذي يتروي شيئاً فشيئاً عند ظهورك المفاجئ ، اختفاء الجميع من بين جدراني الصلدة ، فقداني للشمس تاركةً إيايّ غير قادرة على تتبع غيابها أو ظهورها .

.. فتختفي أمي في جلبابها المشجر وبقع الزيت ورائحة السمن والغسيل به وهي تقف بباب حجرتي حاملة لي إرثها المستحق من ظل الرجل الوافر الوافي .. يتلاشى تماما أبي بمسبحته الزرقاء ، وعينيه اللتين تتبعان الجارات في الشرفات المقابلة ، وعينا أمي تتبعانه في صمت . يواصل الجميع اختفاءهم بنعومة شديدة .. ففي البداية يغيمون قليلاً .. تبهت ألوان قمصانهم ، ودهان أحذيتهم ، يكتسب شعرهم لوناً رمادياً لا يناسب العمر الحقيقي ، يصبحون شفافين بدرجة مبهرة ، فأرى الحوائط التي خلفهم ، والكراسي التي يجلسون عليها .. ثم يختفون تماماً تاركين فقط سحابة هاربة من النافذة المفتوحة .

لم يتوقف الأمر عند اختفاء أمي ، أبي ، إخوتي ، زملاء العمل ، صديقتي وهي تحادثني في التليفون ، ابنة جارتنا التي أهديها حلواي ، مطربي المفضل الذي اختفى فجأة وهي يغني مخلفاً أزيزاً رتيباً ينبعث من الراديو .. لكنني بالأمس لم أجد سريري . فقدت مقعدي الأثير ، ومكتبي ، وأقلامي الملونة،

fb/mashro3pdf

وفستاني المفضل ، تتناقص كتبي كل يوم ، تاركة رفوف المكتبة .. خاوية.

لم يبق لي سوي بحر أزرق يواصل ضجيجه ، لم أندهش عندما لم أجده ، فقط صحراء رطبة مبتلة تستطيع أن تَشْتَمَّ فيها رائحة اليود والملح وآلاف الأصداف التي باغتتها المفاجأة .

... في تلك اللحظة انتظرت اختفائي أنا الأخرى ، توقعت أن أصحو يوماً فلا أجدني ، أو ربما أتلاشى شيئاً شيئاً .. ذراعايَّ ، قدميّ ، جذعي الأسفل ثم الأعلى وأخيراً رأسي .. لكن لم يحدث شيء من ذلك بقيتُ كل صباح كاملة الأعضاء ، مكتملة الوعي ، أنظر للمساحات الفارغة من كل هؤلاء المختفين ، مساحات بقيت هكذا بلا لون حقيقي، مساحات لا أستطيع محوها ، ملئها ، المرور فيها .. بقيت كبقعٍ هادئة مسالمة ، لا تدَّعي سوى الوجود .

فتأتي أنت الآن .. تقايضني بكل المختفين ، بوجوههم التي أخشى نسيانها ، ورائحتهم العالقة بالمكان ، فأتأكد كل يوم من وجود بائع الجرائد المجاور، أنتظر الظهور الصباحي لبائع اللبن ، تحية الجارات عبر النوافذ ، القطارات القليلة المتبقية ، أحصي كل يوم خسائري وأنا أنتظر اختفاءً جديداً .

الإسكندرية

٤ مايو ٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

عندما أفكر فيك

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عندما أستيقظ في الصباح وتجيؤني تلك الأفكار المتداخلة .. ساعتها سأفكر فيه كثيراً .. سأفكر في الحب الذي ربما أمنحه له يوماً ما ، سأفكر كذلك في ملمس شعره تحت أصابعي ، وارتعاشة جلده عند ملامسة كفي .. سأفكر فيه عندما يرقد بجانبي مثل أمنية طيبة وقد منح جسدي ارتياحاً لا يماثله شيء .

....

أسير الآن محتضنة هواء بحرياً صاخباً وزرقة البحر الذي أعرفه ، وموعداً ملوناً كقوس قزح .. أسير في اتجاهه والشمس تملأ عيني . أفكر أنني سأمنحه تلك المرة يدي كي يضمها بين يديه فوق المائدة ، وبيننا كوبا الكابوتشينو ، وبعض الآمال والوعود الجاهزة التي ستعطي لموعدنا هذا مبرراً لتكراره . والتي على أثر روعته ، ربما أسمح له أن يضع يده على كتفي في حركة عفوية تماماً .

ستتملكني رغبة أن أقبله في شفتيه اللتين ترتعشان كلما نطق اسمي .

....

عندما غادر مقعده بجانبي وتركني أتحسس مقعده الخالي والذي انشغل سريعاً مع تحرك أجساد الركاب حركة ميكانيكية لتملأ كل مساحة ممكنة. تبعته يغيب وراء نظري والحافلة تغادر المحطة .

كتاب الكل (١) ... خام لاب لستحى

fb/mashro3pdf

لم يقف لحظة ليري وجهي الملتصق بالزجاج وأنا أتابعه . فارتدت نظـرتيّ وحيدة خائبة .

....

عندما قابلته مرة أخرى صدفة .. احتجت إلى نظرة مغايرة كي أواجه بهـا نظرته الباسمة وإلى مفردات صاخبة كي أواري فيها خيبتي . جاءني كلامـه أنيقا مثل لحمٍ مجمد . لم ترتعش شفتاه ولم تتوتر أصابعه عندما صافحني ... فوقفت أنزوي ...

....

في الصباح وعندما تأتيني أفكاري ، سأفكر فيه كثيرا سـأفكر في الحـب الذي لم يستطع منحي إياه . وفي رائحته العالقة بكتفي ويـدي وملمـس شفتيه على شفتي .

سأفكر كذلك في البحر الذي يسافر دائما بلا وطنٍ له سوى أجسادنا .

.. أفكر في الصباح التالي ، وكيف لي أن أواجه كل هـذا العـالم دون أن أفكر فيه .

الإسكندرية

٣٠ أغسطس ٢٠٠٣

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كان يتمنى بقاءً بجوارها لا يوازيه سوى حنينه للبحر ، وقطارات الصباح الباكر ، وساندوتش يكسر به رتابة وجباته الهادئة .. كان يعرف أن هذا البقاء تحكمه عوامل كثيرة ، أهمها رغبتها الموازية لرغبته تلك .. وكان لديه الكثير من الشك في ذلك ، ليس لعيب محدد فيه ، وليس لتاريخه السابق الموشي بإحباطات متعددة نالت من قلبه ومن جسده ومن قدرته على الدفاع عن رغباته الأصيلة .

علاقته بها كانت تمتلك العديد من العوامل الإيجابية ، بعض الاهتمامات المشتركة .. و أحاديث تمنحه مساحة واسعة للفضفضة والتراخي والتمدد في نبرات صوتها ببحته الطفولية . لكن كل هذا لم يستطع منحه راحة صغيرة تمكنه من إدخال صورتها بين باقي متعلقاته ، فبقيت خارجاً ، وظلت ببقائها هكذا وخزا صباحياً في جنبه لا تجدي معه مسكنات الألم التي تحرق المعدة وتحول العالم إلى وجع يتنقل من الرأس إلى الجنب إلى القلب عندما يواجهها ويقول "صباح الخير يا دكتورة" ... فألتفتُ ، أتشمم عبيره ، رائحته التي تجوب المكان ، تفاجئني عيناه حين تنطقان اسمي وتلقي علي بالتحية "إزيّك يا دكتورة" فأقع في أسر كلمة "إزيِّك" .. في بساطتها وقربها ثم تواجهني أسوار كلمة دكتورة .. فأبتسم في وقار .. تساؤلات نتبادلها ليس غرضها السؤال عن الصحة والأحوال غرضها فقط

fb/mashro3pdf

وجودها هكذا شاخصة في توتر . صانعة حوارات نتذكرها في شغف طفولي فتكون حصيلة جيدة لأيام مقبلة .

.. نتمكن أحيانا من اقتناص أوقات من الود الذي نتبادله وكأنه وصمتنا التي نحاول تخبئتها .. فتنكشف أكثر .

نستطيع أن نمرر كل ودنا بمقدرة هائلة على الخديعة نحافظ دائما على وجودها . وربما أيضا على اتساعها أكثر كي ما نمرر عبرها ليس فقط عشقنا المتواري . بل كذلك عالمنا المفترض . أصدقاءنا المحتملين . مطربنا المفضل . تفاصيل استطاعت أن تملأ المساحة بين غرفتينا القاصيتين .

.. فيقف أمامي قليلا . أحمل ساعتها خوفا لا ينتهي عندما يتوقف سيل حديثنا لبرهة نتبادل فيها صمتا أخشى بعده من بوح لا أستطيعه فيفقدني تحية الصباح . وهذا العالم الحريري الذي يسكن في مسافة المترين التي تفصلنا . فأنصرف مسرعة أحمل الساعة . البالطو الأبيض . وسنوات دراستي الطويلة . وأقول "إزيك إنت" .

١٢ ديسمبر ٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

صباحات

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

النسمات الأولى للصباح تكون مؤلمة وحارقة جداً للجراح التي لم تزل شاخصة لذا أستيقظ عندما تواجه الشمس محدثي .. مؤثرةً أن أواجه الصباحات بعيون منتفخة لا تري شيئاً .

فتأتي الذكري كعادتها ، تدخل هكذا بلا إستئذان ، تتمطي وتسترخي بجانبي ، تتناول قدحاً من الشاي وتتأكد تماماً من وجودها ، تتحسس كل أعضائها ومفرداتها ، تهتم كثيراً بالتفاصيل التي بهتت ، فتواصل صقلها وتأكيدها ومنحها هويتها المؤلمة ثم تمنحني قبلة شفوقة وتغادر .

****

هل تودين الآن الحصول على عالم يواصل اختراقه لنا كل يوم ، فيترك فينا فجوات غائرة كتلك التي يصنعها تصادم نيزك بسطحنا الهش ؟ هل يمكن لنا ساعتها الحفاظ على تماسك ظاهري يسمح لنا بابتسامة صباحية أمام المرآة وفي الخلفية تنتظر صباحات فائتة بابتساماتها الباهتة .

فهل يمكن لها أن تغير من ملامحنا شيئاً ، فنصير أجمل .. ربما أقبح .. نصير آخرين تماماً .. يتطلعون في وجوهنا بعيون جديدة .. دهشة .. فيلقون علينا بالتحية ثم يتركوننا ويواصلون طريقهم ، تاركين خلفية وحيدة دون منظر رئيسي .

القاهرة سبتمبر ٢٠٠٣

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. ثم وعندما تتوقفين لحظة .. يكون عندها غير قادر على إحتوائك – رغم التصاق جسديكما – سيتعين عليك الوصول إلى أقرب مرآة .. تتطلعين جيداً وبرفق تلامسين بإصبعك صفحة وجهك التي ستهتز عندها كثيراً وسيهتز معها عالم صنعتيه على مهل من أمنيات الغير وأحلامهم لك .. ستتفقدين أركانك جيداً ، ستنفضين عنها التراب ، تخرجين صور طفولتك الجاهلة ، أوراقك الخاصة التي رميتها بإهمال بدعوى تفاهتها ، رغباتك التي ما كانت لتنسجم مع الحياة الجديدة ، تتركينها هي الأخرى متربة معفَّرة .. للحظة ترين كل هذه الأشياء مع اهتزاز مرآتك .. ثم تختفي كلها غير تاركة وراءها شيئاً .. سوى رائحةٍ قديمة ربما تلح عليك في لحظة ما .. عندما تتطلعين إلى وجهك في المرآة .. في عالم ثابت ثباتاً لا يمكن له أن يكون حقيقياً ..

.. لحظة .. من أنا كي أقف الآن مرتدية عباءة قاضٍ محنك .. أقف بثبات لا أدري مصدره كي أحلل ما فعلته – بحياتها القصيرة – حتى الآن .. فأدَّعي هشاشتها وزيفها .. وأركن برومانتيكية مستهلكة إلى جمال الماضي وبراءة أحلامه ، فأري كل ما حققته زائفاً ، وأنها في سبيلها إليه تخلت عن تفاصيل حقيقية تماماً كي ترضي رغبات الجميع .. فيفتخر بها الأب وبسنوات دراستها الكثيرة واللقب الذي حصلت عليه من العام الأول لها

fb/mashro3pdf

بالكلية ، غيرة الجارات التي تلحظها الأم في سعادة ، فتقرأ المعوذتين وتُمنّي نفسها بعريس للبنت يوازي كل هذا الفرح .. فتدور هي مغمضة .. مغمضة . من أين أتيت بكل هذا اليقين فأدَّعي معرفتي الحقيقية بها وبرغباتها ، وأن ما قامت به وكل اختياراتها خضعت لحسبة دقيقة ، وأنها عندما تخلت عن مشاريع حبها السابقة فعلت ذلك لأن أبطال تلك القصص ما كانوا ليحققوا النبوءات الأسرية لها ، فتخلت ببساطة مع وعد أنيق بأن نبقي أصدقاء ، ربما لتمنح نفسها مخرجاً أخيراً ، فتكون الصداقة مثل باب يفتح في كلا الاتجاهين .. هي فعلت ذلك .. ربما .. ربما أيضاً تكون احتمت من كل الآخرين في حصنها الخاص الذي لا يتسع إلا لها وحدها حاملة معها فقط ما يمكن لها أن تمسكه بقبضتي يديها ، فتركت الأمنيات ، الأحلام ، وعود الحب الهائمة ، خفقان القلب والنظرات المحبة، تركتها لأنها كلها كانت سريعة البخر والفرار .

ما الذي يمكن أن تكون فعلته هي يختلف عما يفعله الجميع .. لا شيء .. فقط اختارت . فلماذا إذن أنا هنا .. أنا انتظر ندمها .. أن تقف لحظة وتستدير للخلف .. فتمر حياتها أمامها .. وتسقط باكية .. نادمة .. ربما ساعتها ستقل خيبتي سيقل ندمي أنا ، سأشعر عندها أنني لست الوحيدة الخائبة ، وأن البدائل الأخرى لاختياراتي لم تكن أكثر روعة ، وأن الندم قدر يلحق بنا جميعاً ، فربما يخفف هذا عني ، بل ويترك لي بعض الرضا الزائف ، ربما عندها أدعي أنه عندما استدار وتركني .. دون حاجة به أن يسوق أعذاراً واهية ، كنت سأحاول – حقيقة – تصديقها ، دون أن يعني بافتعال مشكلات تبدو حقيقية فتكون دفاعاً مناسباً وذريعة كافية أمام

fb/mashro3pdf

الآخرين ، فقط كانت ستمنحني وضعاً لائقاً ... فعل ذلك دون أن تعتريه لحظة تردد ، لم يمنحني نظرة أسفة أو مودعة ، فقط فعل ذلك كأنه رسالة سماوية لا يملك معها رفضاً أو اعتذاراً .. هل هذا كله سيمنحني شعورا أفضل ؟ لا أدري ، هل سيكون حقدي عليها أقل ؟... لا أدري أيضا . لكنني مازلت أملك تعزية صغيرة لي .. أنني رغم خيباتي قد حصلت على نظرة محبة وأحلام وردية وقلب يخفق بأمنيات للحظات قبل أن يبدأ كل شيء في التبخر وأن تلك الندوب التي علقت بي ، قد رافقتها بهجات صغيرة أستعيدها من وقت لآخر .. لكنني أيضا لا أمتلك يقينا بأنها هي الأخرى لم تكن لها بهجاتها الخاصة والتي لا يعرفها أحد .

الكويت – الإسكندرية

فبراير ٢٠٠٥

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

قسوة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. أو هكذا نتضاءل .. نواصل حماقاتنا بصبرٍ وحرصٍ حتى النهاية .. نزرع قسوتنا بمثابرة لا تتوافر بهذه الجودة والإخلاص عندما نحاول أن نحب .

.. ثم نقف – كلانا – نبادئ بأحقادنا ، نمحو بغضب أصيل من ذاكرتنا كل ما يمكن له أن يمنح أي منا مغفرة .. نرقب صنيعتنا بكل مشاعر الأبوة .. حريصين تماماً على وجودها الذي كلما كبر .. تآكلت معه أيامنا الحميمة ... وحشتي إليك ، تبتعد صورتك شيئاً فشيئاً من مساحة يومي .. يقل تفقُّدي الساذج لتليفوني المحمول ، ربما جاءتني رسالة أو مكالمة ضاع رنينها وسط زحام اليوم .. أعيد من جديد ترتيب هواراتي دونك .. أخرجك قطعة قطعة ... مكالماتنا ، ابتسامتك ، وجهك ، رغبتي في مصالحتك ...

من أين أتينا بكل هذه القسوة !!!

القاهرة

١٣ يونيو ٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

... في البداية ورغم خصامنا ، كنت أفكر فيه كثيرا ، وأتذكر بشكل جيد أوقاتنا سوياً ، أستطيع أن أشعر بجسده ملاصقاً لجسدي ، رائحة عرقه ، أنفاسه الحارة ، قبلته فوق جبيني ولكتفي ، حتى استلقائه بجانبي راضياً .

.... لا أدري كم مر من الوقت فأجدني أتذكره ككل ، ككيان أعرفه لكن بلا تفاصيل حقيقية ، ملامح وجهه غابت عني ، لا أستطيع تذكر ملمس كفيه ، انحسار شعره عن جبينه ، عدد الشعرات البيضاء برأسه تلك التي كنت أتابع وجودها وتكاثرها .. لا أستطيع أن أتذكر هذا كله ، فصارت ذاكرتي هشة مجوفة لا تحتفظ بشيء .

... لا أدري هل هو الغضب .. أم الحزن أم البعد هو الذي يفعل ذلك في ذاكرتنا ، فتتسع تلك المسافات التي تغافلني كي تنمو وحشية أثناء الليل ، سنتيمترات قليلة لا تلحظها العين ، لكنها ماضية تفعل ذلك في صمت وفي إصرار فيبتعد الأحبة كل صباح .

والآن .. أفتش المنزل كله عن رائحته ربما بقيت في ملابس له ، أوراقه ، في أحد المقاعد ، في جانبه من السرير ، في مفتاح الإضاءة .. فقط كي تساعدني على التذكر ، لكن ذاكرتي خلت تماماً من أي رائحة له .

الإسكندرية

٢٥ يناير ٢٠٠٥

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عند البارحة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. عندما تتوقفين الآن .. تستديرين وترجعين للخلف قليلاً ..

.. عندما يقل ضجيج خطواتك .. عندما تمنحين لقلبك مساحة أوسع من شباكه الضيق الذي لا يمرر أحداً . عندما تنظرين بعينين لم تكن لك ، وتشتمين رائحة البارحة .

.. ربما عندها تسمعين حفيف خطوتي الواقفة مكانها .. ربما تستطيعين أن تفتحي في القلب شارعاً واسعاً يمرر الشمس والهواء ودراجات الأطفال .

.. ربما تستطيعين عندها أن تريني .. أمنحك محبتي بإخلاص عابدٍ ، ويأس مذنبٍ أدرك أنه لا أمل في غفران ..

فقط سأمنحك إياها هكذا .. من يدي إلى يدك بلا مقابل ، بلا رجاء في محبتك . لا شيء سوى هذا الأمر الذي سيكون بداخلك جديداً غضاً مؤرقاً .. عندما تواصلين سيرك ثانية ، تاركة إيايَّ واقفاً عند البارحة .

القاهرة

٢٢ مايو ٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سمكة ونبتة وأحلام طيبة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

هل يمكن للأحلام أن تصنع حياة بديلة .. تختفي فيها الموجودات ، رتابة اليوم والروح ، العمل ، الوجوه المعتادة ، ويبقى هو فقط داخل احلامي يمنح خدي قبلة ، ويزرع ابتسامته في صدري ثم يعود في حلم آخر ، كل ليلة .

وأنا أدرك تماماً وقتها أنه حقاً أمامي ، وأنه عندما يلمسني تكون لمسته حقيقية بشكل يُمكّنني من استعادتها دائماً في صحوي .

يأخذني تماماً إليه ، لم أعد أشعر بافتقاده حاداً حارقاً كما كان من قبل ، وتلك المسافات التي بيننا استطعت الآن ترويضها .

****

أصحو كل صباح ، أتفقّد نبتتي التي تموت في صمت ، والتي أدرك دوماً أنها ستجرني إلى النار لأنني تركتها تموت .. أخاف وأرويها . أتذكر سمكتي التي ماتت رغم أنها من نوع مقاوم لظروف الحياة القاسية لكنها لم تفعل .. فمضت هادئة في حوضها الصغير وبدأ جسدها الأسود اللامع يغطيه ريم أبيض حتى ماتت تاركة لي وجعاً في ضميري وعلبة طعامها المتلنة . بعدها لم أعد أتساءل لماذا لا أستطيع الاحتفاظ طويلاً بالأصدقاء أو بالأحبة ، يقولون إذا احتفظت بنبتتك عاماً كاملاً في حالة جيدة فإنك تستطيع أن تقتني حيواناً أليفاً وإذا ظل عاماً بحالة جيدة ، عندها تستطيع أن تتخذ حبيباً ، وأنا مازلت أقف عند النبتة التي لا تموت ولا تكبر .

fb/mashro3pdf

****

أحلم أنني أراه يسير بعيداً يجر قلبه العجوز وراءه ، وكل حبيباته يتساقطن الواحدة تلو الأخرى وأنا أسقط معهن . تصطدم رأسي بالأسفلت تسيل قطرات من دمي ، لكنه يواصل سيره وهو يدندن بلحن عن القلوب التي يشفيها الغرام ، أراه وهو يسير مبتعداً بخطوة طفل . أصحو متعبة بعيون منتفخة وقطرات دم فوق الوسادة ، أرتدي ملابس الأمس وأذهب إلى العمل .

.. وفي جنبي هذا الشعور الموجع بأنني مازلت ملقاة فوق الأسفلت أنزف وحيدة .

الإسكندرية

٢٥ يونيو ٢٠٠٥

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

هل تستطيع أمنياتي أن تعبر بي تلك الطرائق الموشاة بالخطر .. بالترقب ، هل تستطيع أن تصل بي إلى مكان آمن أستطيع أن أرقد فيه بهدوء وبيننا تلك الإتفاقات السرية التي تحافظ على حبائل ودنا في أقل توتراتها . عندما أخبرني مرة أنني أقف أمام هاوية يجب علي السقوط فيها ، لم أخبره أنني أرقب خطواتي بعين ذئب . أستعين بكل ما أملكه من حيل المداورة وبما أحمله في جيناتي الوراثية من إرث كل النساء السابقات كي أمنع نفسي من سقوط زلق سيأخذني بعيداً جداً .. وأننا تواطأنا بشكل لا يسمح لأي منا أن يرفع إصبعه ويرسم علامة تعجب ويدعي خيانة الآخر له .

.. بقينا كطفل صغير يواصل لعبته السحرية فيستطيع أن يطير وأن يقفز من المباني العالية ويحارب الأشرار ويخرج دائماً بغير سوء . يصدق لعبته تماماً لكنه لا يحاول أبداً أن يقفز . فنمر بطيبة على ما تعنيه الكلمات .. ولا نفهم أبداً سوى قشرتها المسالمة مبتعدين بحرصٍ لا يوازيه سوى ابتعادنا عن لغم أرضي يرقد بين خطوتينا .

الآن أخبره أنني لم أكن بريئة تماماً وأن تلك الدهشة كانت أمراً ضرورياً لافتضاح اللعبة ورغبته القاتلة في القفز .. أواجهه بغضب حقيقي لأنه أفسد لعبتي عندما قفز وترك دماءه على الأرض . لأعرف ساعتها أنني لا أستطيع أن أطير ، فأبقى معلقة مثل بندول ساعة . أواصل كراهيتي

fb/mashro3pdf

الصامتة له ولدمائه غير المقدسة .. وأنا أشعر جيداً بثقل جسدي ، وقدميَّ المشدودتين إلى الأرض ، فأكف عن إدعائي أنني خارقة أو بطلة خارجة للتو من كتاب أساطير ، فأستيقظ في الصباح ، أرتدي ملابسي ، عدساتي اللاصقة ، أضع ابتسامتي وأمضي .

الإسكندرية

فبراير ٢٠٠٤ – ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سوداء كانت قهوتي التي أبتلعها مساء ، في محاولة يائسة أخيرة للبقاء مستيقظة ساعات إضافية كاسرة بذلك رتابة ساعتي البيولوجية ، مقترضة بعض الوقت من الليل ، لاحقة اياه بالنهار المنزوي ، فأضيء أنوار المنزل ، أتنقل بين إذاعات الراديو وشرائط الكاسيت مسببة إزعاجاً ليلياً لـ(فيروز) و(أم كلثوم) و(محمد منير) ، وهم يغالبون نعاسهم للنزول على رغبتي ومشاركتي في استيقاظي المثقل بالكتب والمذاكرة .. فتنزوي الأحرف والسطور وكل هؤلاء الأطباء الذين لا أعرفهم ، وأمراضهم التي لن أتذكرها أبداً في ورقة الاجابة ، ولا يبقى وسط كل هذا إلا وجهك الذي أحفظ جيداً ملامحه العاتبة لي ، حنونا على كل دفاعاتي التي أقمتها والتي أعرف أنها ليست كافية .. فأستعير من الجميع وجوههم الضاحكة ، أيديهم الثابتة ، إنكارهم ، إحتماءهم . أفعل كل هذا في ثبات وأنا أنتظر أن تأتي تلك اللحظة ، أن تفسد ما صنعته على مهل وفي رفق حقيقي ، عندها لن أستطيع لها إيقافاً ، مثل السهل الأخضر المنحدر ، لن تتوقف حتى تمام الهبوط .. فهل لك تلك المقدرة .. تلك المغفرة .. مغفرة كل الكائنات التي احتملت هبوطنا المندفع الدامي .. فماتت فقط كي تؤمن لنا هبوطاً مريحاً .

****

الرابعة صباحاً .. أصنع كوباً من الشاي لا أحتاجه – فأنا مستيقظة

fb/mashro3pdf

بالفعل– معززة بذلك الأنيميا التي أعاني منها ، وشحوب وجهي الذي أعتذر عنه أحياناً .

أعاود القراءة ثانية ، أحاول ألا أضيع بين السطور المتلاصقة ، وتلك الأحرف الصغيرة ، لكن مذاكرة الإكتئاب لا تصلح أبداً ليلاً ، فدائماً أشعر بالنعاس عندها ، أعيد النظر في الفهرس ، أفتح الكتاب وأقرأ من البداية .. "الإنتحار" .. لا أدري لماذا دائماً تستهويني قراءته ، هذا الفضول .. تلك اللحظة التي لا تشبه شيئاً ، زميلتي التي تشاجرت معها يوماً عندما رفضت أن تذهب لكتابة شهادة وفاة لشخص مات غرقاً ، فذهبت وحدي وأنا ألعنها ، وكان هو منتفخاً وله رائحة نتنة تملأ الخيمة التي أقامتها أمه ساترة إياه من العراء وجلست بجانبه تنتحب ، خرجت سريعاً قبل أن أتقيأ أمام الجميع ، وأفقد هيبتي الطبية .

زميلتي تلك .. شنقت نفسها في حجرتها وتركتني دون أن أعرف ، فلم أستطع محو اسمها من دفتر تليفوناتي ، وصارت من وقتها .. صديقتي .

... الوقت ليس مناسباً أبداً لاجترار الأحزان ، ولا أدري لماذا أضعها ضمن أحزاني الخاصة .

... "الوقت الذي يتدلى من عنق الساعة

مخلفاً وراءه عقربين يمارسان – معاً – طقوس التقصي والمفاجأة

يشربان من تفاصيل حياتي

فأصير تاريخاً لعبثهما ، وفي لحظة عناقهما

يجتثان من أوراقي الناحلة .. ورقةً كاملةً ."

.. وجدتني كتبت تلك الأسطر في المساحات الفارغة بإحدى صفحات

fb/mashro3pdf

الكتاب .

أقرأ ثانية .. إن الإنتحار هو غريزة العنف الموجودة داخلنا عندما نوجهه لأنفسنا ، وليس للآخرين ، أتذكر رغبتي في القفز من عربة مسافرة ، مُحاولةً تخيل تلك اللحظة .. لحظة الإرتطام .. وقوفي في شرفة منزلي بالدور الخامس ، أتخيل اصطدامي بالأسفلت .. وصوت عظامي المتكسرة ، أشعر بهذا داخلي .. مريحاً جداً .

****

الصباح التالي .. عيون نصف مفتوحة ، وقدح القهوة السمراء يهبني أرقا ويمنح قلبي دقات زائدة .

.. أراك صدفة في المقهى الذي اعتدنا الجلوس به .. ذهبت لألقي عليك التحية .. فوقفت أمامك مثل حافلة متهالكة ، أصابها عطب مفاجيء وسط المطر ، فنزل الركاب جميعهم يلعنونها ثم مضوا وتركوني وحيدة .. فلم أستطع أن أقول شيئاً .

****

ليلة أخرى ، أفتح الراديو على إذاعة تبث موسيقى هادئة ، بقيت أيام قليلة على الإمتحان ، أشعر أني عجوز تجلس عند بئر الماء ، أقرأ ببطء ، وكل ما أقرأه أجتر معه ذكريات لا أدري أين كنت قد وضعتها .. وأعطي للجميع نصائح فارغة .

.. وأنت تظل تأتيني .. وسط الصفحات ، تلكز قلبي باصبعك مثل طفل يطارد فقاعات الصابون .. وتضحك ، وأنا أضعك هكذا .. أوراقاً كنت قد كتبتها يوماً ، صورة كنت في محيطها ، تذكرتين بالحفلة الصباحية

fb/mashro3pdf

لسينما أمير ، قميصاً قد خلعته يوماً فأخذت رائحتك في زجاجة ، كل الأغنيات التي أعرف أنك أحببتها ، أجمع كل هذا وأكثر ..

وأنا أعرف أنك هنا .. موجود حقاً في تلك الأوراق والصور ، في مجلة كنت قد مزقت غلافها عندما أعجبتك فتاة الغلاف ، فأضعك في درج مكتبي ، في دولابي ، أغلق عليك بحرص ، ويصبح هذا كافيا كي تبقى بوجهك ، بنظرتك العاتبة عند الفراق ، شاخصاً بالحجم الطبيعي وأرى عيونك تنظر لي عندما أفتح درجي الصغير ، عندها أكون قد قابلتك ثانية، متأخرة كعاديّ ، ألقي عليك تحيتي ، أجلس قبالتك ، تربت علي كتفي .. وتمضي .

****

ليلة الإمتحان .. لم أتناول قهوة أو شاياً ، لم أستذكر شيئاً ، وضعت بالكاسيت شريط أغان صاخبة .. وأشفقت على الجميع من الأمراض التي ستصيبهم .. حتما ستصيبهم .

الإسكندرية

٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

fb/mashro3pdf

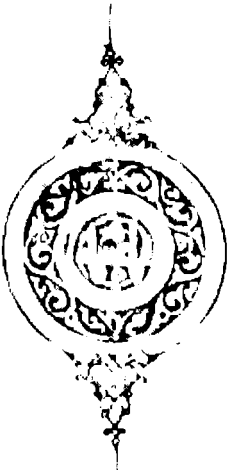

شكر واجب النفاذ

إلى ماهر شريف

وإلى كتاب "الكل"

إيمان برضه

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

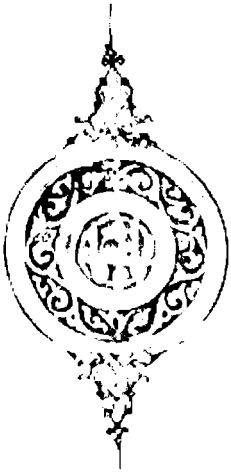

فهرس

إهداء ٣

مقدمة ٥

مفردات صالحة لكل الحكايات ٩

أقول في المدن ١٥

صباحات الأحد الجميل ٢٣

من وراء زجاج ٢٧

مباغتة ٣١

في حجرة ما ٣٥

مقايضة ٤١

عندما أفكر فيك ٤٥

عندما ٤٩

صباحات ٥٣

fb/mashro3pdf

(.....) ٥٩
قسوة ٦٣
ذاكرة ٦٧
عند البارحة ٧١
سمكة ونبتة وأحلام طيبة ٧٥
عندما قفز ٧٩
حافلة قديمة تنتظر ٨٣
شكر ٨٩

fb/mashro3pdf

الأولى

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إيمان عبد الحميد

- من مواليد الإسكندرية .
- بكالوريوس طب وجراحة .
- عضو في (لاتيليه فناني وكتاب الإسكندرية) .
- شاركت بقصائد في كتابي الورشة الأول والثاني الصادر عن (لاتيليه الإسكندرية) .
- شاركت في جريدة (ك ت ب) الأدبية المستقلة .
- نشرت عدد من القصص في العديد من المجلات والجرائد الأدبية .
- صدر لها :-

★ اوراق أولى (مجموعة قصصية مشتركة) عام ٢٠٠٠.

★ الكل (مجموعة قصصية) عام ٢٠٠٤ .

★ محاولات للتخفي (مجموعة قصصية) ٢٠٠٦ .

fb/ma

fb/mashro3pdf

Attempts to hide

Short Stories

Eman Abd El-Hamid

fb/mashro3pdf